

العنوان:	دور البصرة التجارى من القرن الثانى حتى القرن الرابع الهجرى
المؤلف الرئيسي:	أذبيح، عبدالحكيم غنتاب
مؤلفين آخرين:	دغفوس، راضيه(مشرّف)
التاريخ الميلادي:	1997
موقع:	تونس
الصفحات:	1 - 427
رقم MD:	692346
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة تونس للاداب والفنون والعلوم الانسانية
الكلية:	كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
الدولة:	تونس
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	المدن الإسلامية، البصرة، الإقتصاد
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/692346

الجمهورية التونسية

وزارة التعليم العالي

*_*_*

جامعة تونس الأولى

للآداب والفنون والعلوم الإنسانية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

"قسم التاريخ"

دور البصرة التجارية

من القرن الثاني حتى القرن الرابع الهجري

﴿دكتوراه دولة﴾

□//□

إعداد

عبد الحكيم غنتاب أذبيح

إشراف

الأستاذ الدكتور راضي دغفوس



شكر وتقدير

أتقدم بخالص شكري وعميق تقديري للأستاذ الدكتور راضي دغفوس
أستاذ التاريخ الوسيط بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة تونس الأولى
ورئيس قسم التاريخ بالكلية، لتفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة منذ أن
تخلى الأستاذ الدكتور هشام جعيط عن مهام عمله في الكلية، وكان لتوجيهاته
القيمة ورعايته الكريمة أكبر الأثر في إنجاز هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر وعظيم الوفاء للأستاذ الدكتور هشام جعيط الذي أشرف
على هذا البحث على مدى أربع سنوات وتعهده برعايته وتوجيهاته ولم يضمن علي
بنصائحه السديدة وعلمه الواسع، وأتمنى له كل الخير والنجاح في مهامه الجديدة.
وأجزل شكري وتقديري لأستاذي الفاضل الدكتور صالح أحمد العلي
(رئيس المجمع العلمي العراقي)، الذي منحني الكثير من وقته وجهده، وزودني
بنصائحه القيمة وفتح لي أبواب مكتبته العامرة، فجزاه الله خيرا ومنحه الصحة
والعمر المديد.

وأقدم عبارات التقدير والشكر لكل من يسر لي هذا العمل من أساتذة
أفاضل وإداريين وموظفين في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
وأسجل وافر شكري وامتناني للصديق الأستاذ محمد الخالدي لما قدمه لي
من عون كبير في إنجاز هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذتي وزملائي الأفاضل في جامعة البصرة
وجامعة بغداد، ولموظفي المكتبات في جامعتي البصرة وبغداد والمجمع العلمي
العراقي ومركز دراسات الخليج العربي.

وأتوجه بعميق الشكر والامتنان لكل من لمست منهم المعاملة الطيبة في
هذه الأرض الطيبة -تونس الخضراء- من إداريين وموظفين بوزارة التعليم
العالي./إدارة التعاون الدولي وديوان الخدمات الجامعية. وجميع من التقيت بهم
من موظفي المكتبات التونسية، والمؤسسات والمصالح الأخرى.

أما أهلي وأسرتي وأخص بالذكر والدي وإخوتي وزوجتي وأبنائي فإني
أعبر لهم كذلك عن امتناني لما تكبدوه من تضحيات.

ولكل هؤلاء.. ولتونس، الأهل والوطن. أقول: أدين لكم بالعرفان

والجميل...

مع أطيب التمنيات

عبد الحكيم

المقدمة مع عرض نقدي
لأهم المصادر

المقدمة

تمثل المدينة وتطوراتها الاجتماعية والإقتصادية والفكرية والإدارية والسياسية، الوحدة الحيوية والجزء الفعال من حركة التقدم الحضاري لأي مجتمع من المجتمعات. وقد ذهب البعض إلى حد القول إن المدينة هي الحضارة، (١) أو هي تعادل الأمة. (٢)

وقد احتلت المدينة العربية الإسلامية في حضارة العصر الإسلامي الوسيط مكانة ريادية متميزة، حتى صارت من أهم مراكز القوة في ذلك العصر، وقد لا نكون مغالين إذا قلنا: إن نشوء شبكة من المدن الجديدة في تلك الحقبة هو الذي منح العالم الإسلامي الجديد هيكله الإقتصادي والاجتماعي والثقافي، وأن التاريخ العربي الإسلامي خلال قرونه الثلاثة الأولى كان تاريخ مدن وأمصار كالبصرة والكوفة وبغداد ودمشق والقيروان. ويعلق موريس لومبارد على ذلك بقوله "لقد كانت أرجحية المدينة في العالم الإسلامي بين القرنين الثامن والحادي عشر"، -الثاني والخامس الهجريين- هي الظاهرة العظمى في تلك الفترة، فبين سمرقند وقرطبة كانت الحضارة الإسلامية حضارة مدن متماسكة بشكل مدهش، مع حركة واسعة من انتقال الناس والبضائع والأفكار، حضارة توفيقية أو تركيبية فرضت نفسها فوق أرضية إقليمية ريفية أو بدوية" ويضيف "وهكذا يتراءى العالم الإسلامي على شكل زمرة من الجزر الحضرية المتواصلة فيما بينها بخطوط تجارية". (٣) ويقول كلود كاهن في إشارة إلى ظهور المدن الإسلامية الأولى كالبصرة والكوفة: "إن التوسع النسبي في العمران داخل المدن الإسلامية، قد بهر المؤرخين فدفعهم أحياناً إلى المبالغة والإسراف. والحق إن الفتوحات العربية -حيثما لم توجد حركة عمران سابقة مزدهرة- قد صاحبها إنشاء مدن جديدة كانت في بادئ أمرها

(١) اسوالد شبنجلر: تدهور الحضارة الغربية (بيروت ١٩٦٤) ج ٢ ص ٣٦٠.

(٢) الفيروزبادي: القاموس المحيط (مادة مدن) ص ٢٧٠

(٣) الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، (دمشق ١٩٧٩) ص ٢٦.

معسكرات بدائية ثم سرعان ما تحولت إلى حواضر ناشطة⁽¹⁾. إن الغرض الذي نرمي إليه بإنجاز هذه الدراسة هو محاولة الكشف عن جانب من جوانب تاريخ واحدة من أهم المدن العربية الإسلامية في العصر الوسيط، ظل ثانويًا ومهمشًا في الدراسات الحديثة ولم يحظ بما يليق به من دراسة رغم ما يكتسبه من أهمية كبيرة. فأول ما يلاحظه الباحث في هذا المجال هوندره الدراسات الخاصة بالتاريخ الاقتصادي للمدن الإسلامية بشكل عام، كما يلاحظ بأن الدراسات التي تناولت تاريخ مدينة البصرة بشكل خاص -على كثرتها- لم تتضمن دراسة جدية متخصصة تعالج الجوانب الاقتصادية، وبخاصة دور البصرة ومكانتها التجارية من القرن الثاني حتى القرن الرابع الهجري، وهو العصر الذي عاشت فيه البصرة ذروة ازدهارها وتطورها، على الرغم من أن ذلك الجانب كان يمثل ركنًا أساسيًا من أركان تاريخ هذه المدينة الزاهر.

ومع أن البصرة لم تنشأ استجابة لضرورات تجارية، إذ ظهرت، كما هو معروف، لأداء وظيفة عسكرية بحتة تطلبتها عملية فتح العراق في العقد الثاني من القرن الأول الهجري، واحتفظت بصفاتها تلك على مدى قرن الزمان تقريبًا، إلا أنها تمكنت من النهوض مجددًا وإنقاذ نفسها بعد أن تقلصت مواردها وانقطع العطاء عن أهلها بانتهاء عصر الفتوح⁽²⁾، وذلك من خلال ازدهار دورها التجاري اعتبارًا من منتصف القرن الثاني للهجرة، مستفيدة من موقعها الجغرافي المطل على الخليج بواسطة نهرها شط العرب، ومدينتها التاريخية القديمة -الأبله- وكذلك من هيمنتها على الطرق البرية الآتية من الشرق والغرب. فانتقلت المدينة من مجرد معسكر قبلي بسيط إلى ميناء العراق الرئيسي الذي يتم عن طريقه الإتصال بالعالم الخارجي. وتوسعت صلاتها التجارية، وظهرت فيها طبقة نشيطة من التجار الأثرياء. ونشأت مؤسسات تجارية معقدة كالأسواق والصيارفة والبنوك ونظم الإئتمان المتطورة. ولم تكف البصرة بدورها كمدينة

(1) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، ط2 (بيروت 1977) ص131.

(2) كانت موارد البصرة خلال القرن الأول الهجري تعتمد أساسًا على ما يصلها من غنائم الفتوح وما يوزع على سكانها

المقاتلين من عطاء وأرزاق ثابتة.

مستوردة فقط بل استطاعت أيضا أن تصدر عددا من مواردها الزراعية ومنتجاتها الصناعية إلى مختلف المناطق، فضلا عن كونها أصبحت مستودعا لتجارات الشرق في عموم منطقة الخليج العربي.

وقد ساعدت البصرة على هذا التحول جملة من العوامل والتطورات السياسية والإقتصادية أهمها: انتقال مركز الدولة العربية الإسلامية إلى العراق وتأسيس بغداد، وانحياز طرق التجارة العالمية صوب مياه الخليج العربي. كما أن نفوذ العباسيين السياسي وتوسعهم العسكري في الشرق والغرب، واستتباب الأمن ساهم في زيادة الفعاليات التجارية عبر العراق ومنطقة الخليج، يضاف إلى ذلك سياسية الدولة العباسية الإقتصادية التي شجعت التجارة بصورة مباشرة وغير مباشرة، حتى غدت التجارة في عصرها مظهرا من مظاهر أبهة الإسلام، وأصبح التاجر ممثل هذه الحضارة التي صارت من الناحية المادية كثيرة المطالب، متنوعة الحاجات والسلع.

إن دراسة التاريخ الإقتصادي تتطوي على أهمية كبيرة لفهم تاريخنا العربي، ذلك أن كثيرا من القيم الإقتصادية التي زخر بها تراثنا هي نتاج التطور الإجتماعي الإقتصادي. وتبرز التجارة كأحد حقول الإقتصاد المهمة، بل هي المحرك الأساسي للإقتصاد، والدولاب الذي لم يكن بدونه لتتجمع الثروات الطائلة التي قامت على أساسها المدينة الإسلامية، كما تبرز أهميتها باعتبارها أقدم وأقوى وسائل الإتصال الحضاري بين الجماعات البشرية المختلفة. وهناك علاقة وثيقة ومتبادلة بين الحضارة والتجارة، فإذا كان القول إن التجارة تتبع الحضارة صحيحا، بما توفره لها من أمن وضمن وطرق سالكة ونظام نقدي مستقر، وصيرفة متطورة، وأسواق مزدهرة تلبي الحاجات الإجتماعية المتزايدة، فإن التجارة بدورها كانت واحدة من أهم عوامل التطور الحضاري، سواء من خلال ما توفره من حاجات مادية، أو من خلال ما تخلقه من اتصال فكري وبشري.

والفترة التي اقتصر هذا البحث عليها، أهمية خاصة في مجرى التاريخ العربي الإسلامي، وفي تاريخ البصرة بشكل خاص، ففيها شهدت الدولة العربية الإسلامية أقصى اتساع لها، وانتشر الأمن والاستقرار في أرجاء واسعة من المعمورة آنذاك بعد أن أصبحت خاضعة لسيادة دولة واحدة قوية وتحقق الإلتحام بين مجالين إقتصاديّين كبيرين، هما مجال المحيط الهندي ومجال البحر المتوسط، مجالان توحدتا في الماضي البعيد، ثم ما لبثا أن انفصلا إلى عالمين متنافسين على مدى عدة قرون قبل ظهور الإسلام. وقد عاد هذان المجالان لينصهرا من جديد بفضل الفتح الإسلامي، فتحولا إلى مجال اقتصادي فسيح وموحد قائم على علائق تجارية عريضة، وطرق قوافل وخطوط ملاحية كثيرة، وعلى عملة سائدة هي الدينار الإسلامي ولغة تجارية دولية هي العربية. من جانب آخر زادت في هذا العصر موارد الدولة والجماعات والأفراد، وجنح الناس إلى حياة الترف والبذخ. واستجدت أحداث ساهمت في تحريك الثروة بين أبناء المجتمع وانتقالها، سواء عن طريق التجارة والصيرفة، أو عن طريق تقديم الخدمات أو الأنشطة الاقتصادية الأخرى. وفي ظل هذه الظروف برزت أهمية البصرة ونشطت فيها الحركة العلمية وظهرت المذاهب الدينية والأدبية كما برزت فيها المدارس الفلسفية والفكرية. إلى جانب تعاظم أهميتها التجارية. وقد وصفها أديبها الكبير الجاحظ وصفا طيبا يبرز أهميتها التجارية بالنسبة للعراق، ومن مآثور قوله في ذلك: "العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق"، (1) وأجمل اليعقوبي القول في خطورة البصرة من الناحية التجارية في قوله "... والبصرة كانت مدينة الدنيا ومعدن تجارتها وأموالها". (2) ويذكر ابن الفقيه الهمداني أنها كانت: "مأوى كل تاجر وطريق كل عابر". (3) حتى أن ابن حوقل ذهب إلى القول: "وللبصرة من استفاضة الذكر بالتجارة والمتاع ... ما يستغنى بشهرته عن إعادة الذكر فيه". (4) إلى غير ذلك من الأوصاف الكثيرة التي حفلت بها مصادرنا

(1) التنصير بالتجارة، نشره حسن حسني عبد الوهاب، ط2 (مصر 1935) ص3.

(2) البلدان (لیدن 1891) ص323.

(3) مختصر كتاب البلدان (لیدن 1302 هـ) ص93.

(4) صورة الأرض (لیدن 1938) ص214.

التاريخية والجغرافية والأدبية عن أهمية البصرة التجارية خلال تلك الفترة الزمنية.

لقد كتبت عن البصرة في عصرنا الحديث بحوث ودراسات قيمة⁽¹⁾ تناولت جوانب من تاريخها الأدبي والفكري والسياسي والاجتماعي والعمراني والإقتصادي، لا أنكر استفادتي منها في هذه الرسالة، إلا أن تلك الدراسات والأبحاث لم تتطرق إلا لمحا إلى أهمية البصرة التجارية خلال تناولها للحياة الأدبية والفكرية في البصرة، وذلك في معرض الحديث عن أسباب رخاء الحياة وازدهار المدينة وثراء أهلها. ولا توجد على حد علمي دراسة مستقلة وشاملة تبحث في مكانة البصرة ودورها التجاري خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين. باستثناء دراسة الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي "التنظيمات الاجتماعية والإقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري" وهي من الدراسات الرائدة في هذا الميدان، إذ أفلح مؤلفها كثيراً في تقصي وجمع معلومات غاية في الأهمية من المصادر التاريخية والجغرافية والفقهية تتعلق بالمؤسسات الإقتصادية والمالية التي كانت موجودة في مدينة البصرة. إلا أن تلك الدراسة قد اقتصرت، كما هو معروف، على تناول جوانب من تاريخ البصرة في القرن الأول الهجري وهي فترة متقدمة على ظهور الدور التجاري للبصرة. ولا بد أن نشير أيضاً إلى دراسة الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري "تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري" وهي من الدراسات المهمة في هذا

(1) أهم تلك الدراسات :

صالح أحمد العلي: - التنظيمات الاجتماعية والإقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط2 (بيروت 1969)

- خطط البصرة ومنطقتها (بغداد 1986).

- خطط البصرة، مجلة سومر، المجلد 8 السنة 1 لسنة 1952.

ما سنيون: - خطط البصرة وبغداد، ترجمة ابراهيم السامرائي (بيروت 1981).

شارل بيلا: - الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة إبراهيم كيلاني (دمشق 1985).

أحمد كمال زكي: - الحياة الأدبية في البصرة (القاهرة 1971).

طه الحاجري: - الجاحظ، حياته وآثاره (القاهرة 1969).

وديعة طه النجم: - الجاحظ والحضارة العباسية (بغداد 1965).

عون الشريف قاسم: - شعر البصرة في العصر الأموي ط2 (بيروت 1991).

مهدي المخزومي: - الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه (بيروت 1986)

إضافة إلى هذه الدراسات هناك عدد من المقالات المنشورة في الدوريات العربية الأجنبية تناولت جوانباً من علاقات البصرة التجارية في العصر الوسيط، وقد ذكرناها ضمن قائمة المصادر والمراجع.

المجال، إلا أن ما ورد فيها عن دور البصرة التجاري قليل، واقتصر على فترة زمنية متأخرة بالنسبة لفترة دراستنا هذه.

وقد دفعني كل ذلك إلى تناول تاريخ التجارة البصرية منذ المراحل الأولى لازدهارها منتصف القرن الثاني للهجرة وحتى مرحلة تراجعها أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري، سيما بعدما لقيته من تشجيع من لدن الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي ومن ثم موافقة الأستاذ الدكتور هشام جعيط مشكورا على الإشراف على الرسالة.

أما بخصوص تصميم البحث والمقاربة المنهجية المعتمدة، فإن نهوض البصرة السريع، وثوراتها بعد فقر، رغم كل الظروف العصبية والأزمات السياسية والاجتماعية التي مرت بها، يطرح على الباحث الإشكاليات الآتية:

* ما الذي تهيأ لتلك النواة العسكرية، المغلفة بجدار سميكة من البداوة، والمحاطة بظروف بيئية غير ملائمة، لتنبؤ تلك الأهمية الاقتصادية، والمكانة التجارية العالمية بعد قرن واحد تقريبا من تأسيسها؟

* ما هي الخصائص التي جعلت هذا المعسكر البدائي يتوجه بسرعة نحو الحياة الحضرية، ويتعدى السبب الذي أنشئ من أجله؟
* لماذا وكيف هاجر هذا العدد الكبير من السكان إلى منطقة هي فقيرة في الظاهر؟ وكيف شكل هذا الجمع البشري فيما بعد مدينة كبيرة ذات شأن هام في ذلك العصر؟

* كيف تحولت المنطقة من منطقة طفيلية إلى منطقة منتجة؟
* وأخيرا: لماذا وكيف تطورت تجارة البصرة؟ وما هو الدور الذي لعبته في ميدان النشاط التجاري؟ وما طبيعة وحجم نشاطها وصلاتها التجارية مع العالم الخارجي، ومدى انعكاس ذلك التطور على حقول الاقتصاد الأخرى، كالزراعة والصناعة والنظم المالية والأسواق وغيرها.

إن هذه الرسالة هي محاولة للإجابة على هذه الإشكاليات في ضوء منهج يعتبر التاريخ نشاطاً إنسانياً متكاملًا تترافق فيه العوامل السياسية والإقتصادية والإجتماعية والنفسية بأدوار وإن كانت متفاوتة في تأثيرها وفق الظرف ومعطيات المرحلة، إلا أن لها جميعاً حكمها في صياغة الحدث، من دون اختزال لحقب التاريخ أو منعرجاته الكبرى في ثنائيات مبسطة: تقدم وتراجع، أو تطور وتأخر. مع وعي بأن طريق البحث في مثل هذا الموضوع، شديد الوعورة، ولا يخلو من صعوبات جمة، منها ما هو متعلق بغموض الصورة بسبب غياب الوثائق والإحصائيات، أو للتضارب بين روايات المتقدمين في كثير من النقاط التي بحثتها في هذه الرسالة، ومنها ما هو مرتبط بالمنهج الذي اعتمدناه. فكان علي التدقيق في تلك الروايات والتوفيق بينها والخروج منها بنتيجة تتفق مع الواقع الذي كانت عليه الظروف آنذاك، مبتعداً عن الرواية المبسطة التي تختزل الحقيقة أو تحرفها، ومتجنباً تأويل النصوص أو تحميلها أكثر مما تتحمل، غير أن هذا الحذر لم يمنعني من أن أمضي إلى أبعد من التفسير الظاهري لبعض النصوص وأن أدقق في تلك الروايات التي تحمل صور المبالغة والتهويل -وما أكثر ما يعترض الباحث منها في مثل هذا الصنف من الأبحاث-.

وأود أن أنوه بأن هذه الرسالة مع أنها تحمل عنوان " دور البصرة التجاري من القرن الثاني حتى القرن الرابع الهجري " إلا أنها في بعض المواضع قد تجاوزت دور البصرة إلى الحديث عن مكانة الخليج العربي التجارية، وهذا التداخل يمكن تبريره بالإمتداد الجغرافي والصلات الإقتصادية والإجتماعية المتينة التي تجمع بينهما. كما تجاوزنا -في أكثر من موضع- من حيث الزمن، فترة البحث إلى ذكر بعض الأحداث والظروف السابقة لها، ذلك أن التاريخ الإقتصادي لا يمكن تحديده كالتاريخ السياسي بعام محدد أو سنوات محددة، كما أن نتائجه الواضحة للعيان لا تظهر إلا بعد تطور بطيء ربما يمتد لعشرات السنين، ولذلك فقد سمحنا لأنفسنا بأن نولي عنايتنا إلى بعض التطورات السياسية والإجتماعية والإقتصادية المهمة التي مرت بها البصرة خلال القرن الأول الهجري،

حرصاً منا على إبراز ظاهرة التطور في تاريخ المدينة وأسبابه. ولأن الفصل الصارم في هذا المضمار بين العصر الذي نهتم به وما سبقه قد يضيق زاوية النظر خاصة إذا أدركنا أن مثل هذه التطورات في تاريخ المدن لا يمكن أن تحدث بين يوم وليلة.

إن التطورات السياسية والاجتماعية التي شهدتها البصرة مطلع القرن الرابع الهجري، والظروف التي استجبت بدخول البويهيين إلى العراق واحتلالهم البصرة جعلتني أعتبر منتصف العقد الرابع من القرن الرابع الهجري نهاية لفترة هذا البحث.

إن المختص يقدر حجم المصاعب التي يواجهها الباحث في جانب من جوانب الحياة لمدينة واسعة الشهرة، بعيدة الأثر في التاريخ كالبصرة، التي شغلت التاريخ الوسيط، وعلى مدى ثلاثة قرون تقريباً، بأحداثها، وأدوارها العسكرية والسياسية والفكرية والإقتصادية والأدبية، وتفرقت أخبارها في ثنايا المصادر وبطون الكتب، حتى لا يكاد يخلو مصدر من مصادرنا التاريخية والجغرافية والأدبية من إشارة أو ذكر أو خبر مطول عنها، إلا أن تلك المصادر -على غزارة المعلومات والأخبار التي حوتها عن البصرة- شحيحة وصامتة في كثير من الأحيان عن أية معلومة تتعلق بجوانب حياتها الإقتصادية وبخاصة علاقتها وأنشطتها التجارية. وكانت ندرة المادة المبعثرة تضطرنني إلى أن أتصفح مجلدات بكاملها دون أن أجد نصاً واحداً يمس التجارة البصرية. وإن وجدت تلك المعلومات فإنها كثيراً ما كانت تفتقر إلى الدقة، أو تميل إلى المبالغة والتهويل في ذكر الأرقام، لعدم وجود إحصائيات رسمية، أما الروايات المشتتة التي عثرنا عليها في هذا الصدد فإنها غالباً ما اتسمت بسمة خرافية متأثرة بقصص "ألف ليلة وليلة" أو بمغامرات السندباد البحري، الأمر الذي يدعونا إلى الإستنتاج بأن المدى الصحيح لهذه التجارة ومدلولها الحقيقي ما برحاً موضع جدل ونقاش.

لقد حاولت أن أسلك السبيل العلمي السليم بقدر الإمكان، مستهدفاً الصدق والحق والدقة في التعبير، ولا أزعم أنني بلغت الكمال في بحثي

هذا أو تمكنت من الإجابة على كل الأسئلة التي يطرحها هذا الموضوع الهام، بل إنني لموقن بأن الغموض ما زال يكتف بعض جوانبه، وبأن المصادر التي بين أيدينا صمتت عن بعض الحقائق، إلا أنه من المفيد أن نلفت الإنتباه إليها، وأن يكون بحثنا هذا معلما على طريق المزيد من البحوث في مجال التاريخ الإقتصادي.

لقد اقتضت طبيعة البحث أن أعقد له مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، وقد دار الاهتمام في المقدمة على التعريف بموضوع البحث والمنهج الذي اعتمدناه في دراسته مع عرض نقدي لأهم المصادر والمراجع التي استعنا بها في إعدادة.

وتتبعنا في الباب الأول الظروف التي رافقت نشوء المدينة والمنعرجات الإجتماعية والإقتصادية الكبرى في تاريخها منذ تأسيسها حتى ظهور دورها التجاري، وقد ضم هذا الباب اربعة فصول، درسنا في الفصل الأول الدوافع والأسباب العسكرية التي تحكمت في اختيار موقعها كمعسكر بدائي تطلبته عملية فتح العراق، وتعرضنا إلى أهم ملامح المدينة الجغرافية وظروفها البيئية الصعبة، كرداءة التربة وقساوة المناخ وشحة المياه الصالحة للشراب والتي شكلت صعوبات جدية بالنسبة لسكانها الأوائل من المقاتلين العرب.

وفي الفصل الثاني أوضحنا المراحل اللاحقة في تاريخ المدينة وهي على طريق التمدن والإستقرار، وما شهدته من توسع عمراني، وزيادة سريعة وهائلة في اعداد سكانها نتيجة الهجرة إليها من شبه جزيرة العرب، وقد استدعى الحديث في هذا المجال التعرف على طبيعة المجتمع البصري من العرب وغيرهم، ودور كل منهم في النشاط الإقتصادي للمدينة، وتناولنا بالتحليل والمناقشة طبيعة التحولات الإجتماعية التي شهدتها مجتمع البصرة وانعكاس ذلك على مستقبل المدينة.

وتطرقنا في الفصل الثالث من هذا الباب إلى تطور الحياة الاقتصادية في البصرة، خاصة بعد توسع الدولة في استصلاح الأراضي وحفر الأنهار، وشق القنوات والترع الكثيرة، وتوزيع القطاعات على رجالها البارزين، وكبار القادة العسكريين الذين اجتهدوا في استثمار تلك الأراضي فازدهرت الزراعة وانتشرت في أرض البصرة شبكة هائلة من الأنهار والقنوات قدر عددها بأكثر من مائة وعشرين ألف نهر تجري فيها الزوارق. وتنوعت محاصيلها الزراعية حتى فاضت عن حاجة الإستهلاك المحلي لتكون مادة للتصدير فأصبحت البصرة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين أهم مركز لتسويق المواد الغذائية في المنطقة، والمجهز الرئيسي للسفن التجارية في موانئ الخليج العربي ذات الرحلات البعيدة بهذه المواد. كما ظهرت في البصرة صناعات عديدة، على أيدي بعض المسلمين من غير العرب ومن أبناء الطوائف الأخرى كاليهود والنصارى، وهي صناعات بدائية وبسيطة تطلبتها حاجات المجتمع الجديد. ولكنها تطورت مع الزمن، خاصة صناعة المنسوجات التي اشتهرت بها البصرة وكانت تصدر إلى جهات عديدة. كما احتوى هذا الفصل بحثاً عن أسواق البصرة التجارية المهمة، كالمربد الذي كان المحطة الرئيسية لتجارة القوافل، والكلاء المرفأ النهري الهام في تاريخ التجارة البصرية، وغيرهما من الأسواق الأخرى.

أما الفصل الرابع الذي يشكل، كما اعتقد، العمود الفقري للبحث في هذا الباب، لما فيه من جدة وطرافة، فقد تناولنا فيه العوامل والأسباب التي أدت إلى ظهور الوظيفة التجارية للبصرة، وهي عوامل جغرافية وسياسية واقتصادية وبشرية تضافرت جميعها لتجعل من البصرة مدينة تجارية مهمة، ذات دور مؤثر في ميدان التجارة العالمية على مدى قرنين من الزمان تقريباً. كما تطرقنا في هذا الفصل إلى ظهور طبقة التجار في البصرة، وشهرة التاجر البصري العالمية آنذاك، وإلى أصناف التجار، والشركات التجارية التي كانت قائمة، ورأي الفقهاء فيها من حيث جوازها أو بطلانها. ثم أشرنا إلى النظم المالية المتطورة التي ظهرت في البصرة،

كالبنوك والصيرفة والسفّاتج والصكوك ونظم الائتمان، التي كانت من أبرز مظاهر الإزدهار التجاري في المدينة.

أما الباب الثاني، الذي أفردناه لدراسة طرق ومنافذ التجارة البصرية، فقد تضمن مقدمة وثلاثة فصول، تناولنا في المقدمة طرق ومسارات التجارة العالمية في العصر الوسيط، ودار البحث في الفصل الأول منه حول طرق التجارة النهرية، وفي مقدمتها أنهار الملاحة الرئيسية في البصرة (نهر الأبله ونهر معقل) ودورهما في تنشيط الحركة التجارية في المدينة، ثم تناولنا دور النهرين الخالدين دجلة والفرات في حركة النقل التجاري بين البصرة وبين مدن العراق الأخرى وخاصة بغداد، والجزيرة الفراتية، وبلاد الشام.

وفي الفصل الثاني، الذي خصصناه لدراسة الطرق البحرية، بحثنا في بدايته موضوعاً جوهرياً يتعلق بمصادر الخبرة الملاحية التي تهيأت لسكان البصرة، ودفعتهم إلى المغامرة في عرض البحار، حتى صار المحيط الهندي مسرحاً لنشاطهم التجاري الواسع. ثم تناولنا طبيعة الملاحة في كل من الخليج العربي والمحيط الهندي، مع تتبع لمسارات الطرق البحرية من البصرة إلى الهند والصين وشرق إفريقيا والبحر الأحمر. مستثنين في ذلك إلى خرائط مدققة على ضوء روايات الرحالة العرب المعاصرين لفترة البحث، وفي مقدمتهم سليمان التاجر، وأبو زيد السيرافي، وابن خردادبه، وختمنا هذا الفصل بدراسة مهمة عن سفن التجارة، من حيث صناعتها وأنواعها، متناولين بشيء من التفصيل الطريقة التي تميزت بها صناعة سفن الخليج العربي والمحيط الهندي، معززة ببعض الصور والمخططات لأنواع من تلك السفن وطريقة صناعتها.

وأوضحنا في الفصل الثالث الطرق البرية التي كانت تنقل من خلالها المتاجر من وإلى البصرة، وقسمناها إلى أربع مجموعات هي: طرق العراق، وطرق الخليج العربي والجزيرة العربية، وطرق الشام وشمال إفريقيا، والطرق إلى بلاد فارس والشرق الأقصى. وتطرقنا إلى

جهود الدولة في تأمين هذه الطرق من أخطار اللصوص، وتوفير الخدمات فيها، كإقامة الدولة للخانات على طول هذه الطرق، وتعليمها المسافات بين المحطات. ثم انتهينا إلى عرض موجز لأهم وسائل النقل البري في تلك الفترة.

وعقدنا الباب الثالث والأخير لعلاقات البصرة وصلاتها التجارية بالمدن والأقاليم الأخرى، وقد اجتهدنا في رسم دائرة تلك الصلات وفق تدرج مكاني يبدأ من الأقرب فالأبعد، فقسمنا هذا الباب إلى أربعة فصول، تناولنا في الفصل الأول صلات البصرة التجارية مع المدن والحواضر والأقاليم المجاورة، مثل بغداد ومدن العراق الأخرى، والمراكز التجارية في الخليج العربي، والجزيرة العربية، وقد لعبت البصرة دوراً رئيسياً في تنظيم وتنسيق التجارة الداخلية والخارجية، لهذه المناطق من خلال مرفئها العظيم، وصلاتها الواسعة بمراكز التجارة العالمية.

أما الفصل الثاني فقد بحثنا فيه صلات البصرة التجارية مع الأقاليم الإسلامية البعيدة، ونقصد بها هنا بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا والأندلس، وكانت للبصرة صلات قوية ومتميزة مع هذه الجهات خاصة مع مدن الشمال الإفريقي، القيروان وتونس وموانئ الساحل التونسي، وتاهرت وسجلماسة، وكان لعلاقات البصرة السياسية والاجتماعية مع هذه الحواضر أثره الواضح في تقوية وتعزيز الصلات التجارية خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة.

وخصصنا الفصل الثالث لعلاقات البصرة خارج العالم الإسلامي بمصادر التجارة الشرقية، وهو المصطلح الذي يطلق عادة على تجارة مناطق الشرق النائية، الهند والصين وشرق إفريقيا، حيث قامت على منتجات هذه البلدان تجارة عالمية واسعة ومهمة في العصر الوسيط. وقد حفلت مصادرها الجغرافية والتاريخية بمعلومات غزيرة وقيمة عن صلات أهل البصرة بهذه المناطق، حتى وصفت البصرة بأنها مستودع تجارات الشرق.

وفي الفصل الرابع والأخير، أوضحنا العوامل والأسباب التي أدت إلى تراجع دور البصرة التجاري، وضمور أهميتها الاقتصادية ابتداء من أواخر القرن الثالث حتى مطلع القرن الرابع الهجري، وهي أسباب عديدة، سياسية واقتصادية واجتماعية، أهمها كانت تلك الضربات الموجعة التي تلقتها البصرة على أيدي الزنج والقرامطة، واضطراب الأوضاع السياسية بعد سيطرة الترك على الخلافة، وانهلال وحدة الدولة بعد استقلال الكثير من الولايات البعيدة عنها، وانعكاسات تلك الظروف على مسارات التجارة العالمية التي بدأت طرقها تتحول عن الخليج العربي باتجاه البحر الأحمر، وغير ذلك من الأسباب.

وقد تضمنت فصول هذه الرسالة عرضاً لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا للموضوع، كما احتوت على عدد من المخططات والخرائط للمواقع والطرق، وعلى نماذج من سفن التجارة البصرية وطرق صناعتها. وقد ذيلنا هذه الدراسة بقائمة للمصادر والمراجع التي استفدنا منها في هذا البحث.

والله ولي التوفيق

عرض نقدي لأهم المصادر

إن المصادر التي تناولت دور البصرة التجاري كثيرة ومتنوعة، ولعل مراجعة قائمة المصادر والمراجع التي ألحقناها بهذا البحث تشهد بوضوح على ذلك التنوع، إذا استعنا بكتب الأدب والجغرافيا والرحلات والتاريخ والفقه والنظم المالية، وبكتب العجائب والمأثورات الشعبية. وتكتسب بعض تلك المصادر أهمية بالغة لأنها كانت معاصرة لأحداث الحقبة التي ندرسها، أو لجانب منها، فكان أولئك المؤرخون شهود عيان فيما أوردوه من روايات عن نشاط البصرة التجاري، ورواج أسواقها، وعمرانها وحياتها الاقتصادية. وإن كان من النادر أن يجد الباحث مصدرا مختصا في هذا الموضوع ومنفردا به عن سائر المواضيع، باستثناء موسوعة الجاحظ التجارية الموسومة "كتاب التبصر بالتجارة". ويمكن أن نذكر أيضا في مجال ما كتب عن التجارة كتاب الدمشقي، "الإشارة إلى محاسن التجارة". لذلك يتحتم علينا أمام تلك الكثرة وذلك التنوع في المصادر أن نكتفي بعرض موجز لأهم ما رجعنا إليه من مصادر تناولت موضوع بحثنا هذا.

1) المصادر الخاصة بالتجارة:

- من الكتابات المبكرة في هذا المجال، كتاب "المخارج في الحيل" لمحمد بن الحسن الشيباني (المتوفى سنة 189هـ/804م)، الذي أفاد التجار العراقيين كثيرا في معاملاتهم التجارية، وكان دليلا لهم في معالجة المشاكل الناجمة عن الشراكة التجارية، وتقسيم الأرباح بين الشركاء، وغير ذلك من المعالجات المفيدة للتجار.

- و يعد أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب الكناني البصري الشهير **بالجاحظ** (المتوفى سنة 255هـ/868م)، أول من كتب في التجارة، وليس من باب المصادفة أن يكون مؤلف أول كتاب في التجارة وهو

الجاحظ من أهل البصرة⁽¹⁾، ولا شك أن ذلك الجو التجاري الذي عاصره الجاحظ هو الذي أملى عليه كتابة موسوعته التجارية تلك "التبصر بالتجارة" والتي تعتبر سجلا أميناً للبصرة وما كان لمركزها التجاري من ازدهار وفاعلية خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة، فهي مرآة تصور النشاط التجاري المبكر لمسقط رأس الجاحظ بالبصرة، إذ استطاع أن يشاهد عياناً ما كان يجلب عن طريق البصرة إلى بغداد وسائر أرجاء العراق من شتى سلع أطراف الدنيا، وما كان يصدر عن البصرة أيضاً من العراق إلى مختلف الآفاق. كما ذكر الجاحظ في مؤلفه هذا بعض المبادئ العامة في التجارة، وأنواع المتاجر ومصادرها. وللجاحظ أيضاً "رسالة في مدح التجار وندم خدمة السلطان". وتعد كتاباته هذه من بواكير ما ألف في هذا المجال وكانت مصدراً لعدد من المؤلفين المتأخرين.

يضاف إلى ذلك أن الجاحظ يعد من عظماء الكتاب المكثرين وكتاب النثر، عاش في الفترة الأساسية لنشوء الجغرافيا العربية التي يعتبر رائداً من روادها من بعض النواحي. وقد ضمن مؤلفاته الكثير من معلومات قيمة عن البصرة وحياتها الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية. ولمؤلفات الجاحظ مكانة متميزة في دراسة البصرة وتاريخها التجاري نظراً لكثرة مؤلفاته وتنوعها، ولكونه بصري النشأة والمقام والثقافة، فضلاً عن معاصرته لتلك المرحلة المزدهرة من تاريخ التجارة البصرية.

- وكتب أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي (ت 570 هـ - 1174م) كتاباً قيماً يبحث في أمور التجارة عرف باسم "الإشارة إلى محاسن التجارة" وهو مقسم إلى قسمين: أحدهما خاص بالتجار وأصنافهم والآخر خاص بأصناف البضائع وبالمعاملات التجارية وأصولها، ولهذا الكتاب أهمية خاصة في معرفة الفكر الاقتصادي عند العرب.

(1) عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (بيروت 1974 ص 135).

(2) المصادر الجغرافية:

- وفي طليعة المصادر التي استفدنا منها كثيرا في هذه الرسالة، مؤلفات الرحالة والجغرافيين المسلمين، فقد خصت البصرة بجزء مهم من أبحاثها وأمدتنا بمعلومات وافية عن تأسيسها، وموقعها الجغرافي، وعمرانها، وأنهارها، وعن الطرق المتصلة بها وعن منتجاتها وصلاتها التجارية. كما زودتنا تلك المصادر بمعلومات مهمة عن طرق التجارة العالمية ومسالكها البحرية والبرية، وعن خصائص وأوصاف البلدان المختلفة ومنتجاتها الزراعية والصناعية وما كان يصدر من تلك المنتجات إلى الخارج وتفاصيل أخرى مهمة عن سلع التجارة وغيرها. وتكاد تكون جميع كتب هؤلاء الجغرافيين من نمط واحد، وكل منها ينقل عن الآخر دون تقيد. لذا سنعرض لأهم تلك المؤلفات بالنقد والتحليل ونكتفي بالإشارة فقط إلى بعضها الآخر.

- تعد رحلة سليمان التاجر العراقي المقيم في سيراف، والتي يرجع زمنها إلى سنة 237هـ/851م من أقدم المؤلفات العربية التي وصلتنا عن وصف البلدان وذكر أخبار التجارة البحرية. فقد ورد في هذا المؤلف وصفا للطريق البحري الطويل الذي يبدأ من البصرة حتى ميناء خانقوا (كانتون) في الصين، مع ذكر لبعض العادات والنظم الاجتماعية والإقتصادية في كل من بلاد الهند وبلاد الصين وأهم منتجاتها. ولهذا الكتاب أهمية أساسية من حيث تاريخه ونوعية قصصه التي لا تخلو من المبالغة وسرد القصص ذات الطابع الأسطوري، إلا أننا وقفنا على معلومات قيمة عن الصلات التجارية بين البصرة والصين والهند، وكيف كانت حكومة الصين تعامل التجار الأجانب، وعلى معلومات عن الجالية العربية في الصين من تجار أهل البصرة وسيراف وعمان. ويرى كل من بروكلمان⁽¹⁾، وأندري ميكال⁽²⁾، وجون سوفاجي، أن مؤلف هذا الكتاب لم

(1) تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار (القاهرة 1974) ج 4 ص 238.

(2) جغرافية دار الإسلام البشرية، ترجمة إبراهيم حوري (دمشق 1983) ص 29.

يكن سليمان التاجر، بل وضعه مؤلف مجهول باسم "أخبار الصين والهند"، وقد ورد فيه ذكر تاجر اسمه سليمان.

- وكانت هذه الرحلة مع الذيل الذي وضعه لها أبو زيد الحسن السيرافي سنة 267هـ / 880م، قد نشرت على يد المستشرق فران ضمن سلسلة التواريخ سنة 1881 تحت اسم "رحلة إلى الصين والهند"⁽¹⁾، ثم نشرها المستشرق سوفاجي (باريس 1948) تحت عنوان "أخبار الصين والهند" مع مقدمة وملاحظات مهمة. وقد اعتمد معظم بلدانينا أمثال ابن خرداذبه وابن الفقيه والإصطخري والمسعودي وابن حوقل في نقل بعض المعلومات والأخبار الواردة في هذه الرحلة. كما تعتبر هذه الرحلة أساسا لما ألف بعدئذ من قصص السندباد البحري، لما ورد فيها من أخبار عجيبة.

- وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (حوالي سنة 276هـ / 889م) ألف اليعقوبي (أحمد بن اسحق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المتوفى سنة 292هـ / 905م) كتابه البلدان الذي وصف فيه الممالك الإسلامية معتمدا على ما شاهده بنفسه، وعلى الوثائق المباشرة ووثائق الرحلات. وقد اسهب اليعقوبي في هذا الكتاب في وصف مدينة بغداد وخططها ومكانتها التجارية وصلاتها مع البصرة. كما تحدث عن مدينة سامراء وأسواقها وعلاقاتها الإقتصادية بالبصرة، فضلا عن وصفه للكوفة ولجزيرة العرب وبلاد فارس ومصر وغيرها. وقد فقدت الفصول الخاصة بالهند والصين، كما تحتوي هذه النسخة من كتاب البلدان على أربعة أسطر مبتورة الآخر عن البصرة ولم تكتشف نسخة تكمل نقصها.

واهتم اليعقوبي كثيرا بوصف الطرق التجارية، إلا أنه لم يكن بالدقة التي اتصف بها ابن خرداذبه في ذكر المدن والمراكز التجارية التي تقع على هذه الطرق.

(1) وقد نشرت هذه الرحلة أيضا في تعداد عام 1961 من قبل دار مشورات النصري تحت عنوان (رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان واندونيسية)

- ويعتبر كتاب المسالك والممالك لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن خرداذبه (المتوفى بحدود سنة 300هـ/913م) مصدرا أساسيا في هذه الدراسة لما احتواه من أخبار ومعلومات مهمة. وهو أول كتاب وصل إلينا يحمل هذا العنوان، كما أنه أول كتاب جغرافي يتضمن دليلا للطرق وأشهر البلاد التي تقع عليها، والطرق التجارية الرئيسية التي تربط البصرة بالبلدان الأخرى، وهو هام أيضا في الطبوغرافيا التاريخية، وورد فيه نص أساسي عن نشاط التجار اليهود الراذانية أو الرهاندنة خلال القرن الثالث الهجري، ودورهم التجاري ووساطتهم بين الشرق والغرب، وعن الطرق البرية والبحرية التي سلكوها مرورا بالبصرة، والبضائع التي كانوا يتولون تصديرها إلى العالم الإسلامي، وقد انفرد هذا الكتاب أيضا بالإشارة إلى نشاط التجار الروس داخل حدود بلاد الإسلام ووصولهم إلى أسواق العراق. وقد استفاد ابن خرداذبه من عمله في إدارة البريد والخدمة السرية في إقليم الجبال فوضع كتابه هذا، بحدود السنوات 230-232هـ/844-846م، إذ مكنه هذا العمل من الحصول على معلومات قيمة عن الأماكن النائية وعن الطرق والممالك، وقد أفرد قسما كبيرا منه للحديث عن سواد العراق ومنتجاته وتقسيماته الإدارية، وتحدث بتفصيلات مهمة عن الطرق البرية التي تربط البصرة بالخليج العربي وشبه جزيرة العرب، فوصف الطريق من البصرة إلى مكة والمدينة حتى اليمن مع ذكر المنازل الهامة في هذا الطريق. أما عن وصفه للطريق البحري الذي يبدأ من البصرة حتى مشارف الصين، فعلى الرغم من أهميته إلا أن تأثير "القصص البحري" كان واضحا في ذلك الوصف، وقد أمدنا هذا المصدر بمعلومات مهمة عن سلع التجارة، وعن منتجات البلدان التي وصفها، ومما يؤخذ عليه ابن خرداذبه أنه عرض مادته بأسلوب جاف، وافتقار موضوعاته إلى التبويب، ولعل ذلك كان سببا في تناقض حكم الجغرافيين المتأخرين عليه. ونقل عن ابن خرداذبه عدد مهم من الجغرافيين اللاحقين أمثال ابن رسته وابن حوقل والمقدسي والمسعودي وغيرهم.

- وفي سنة 290هـ/903م صنف أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن الفقيه الهمداني كتابا سماه "كتاب البلدان" لا نعرفه

إلا من خلال مختصر له كتب على الأرجح في القرن الخامس الهجري سمي "مختصر كتاب البلدان"، تضمن معلومات قيمة عن البصرة ومكانتها التجارية ووصفها بأنها كانت "مأوى كل تاجر وطريق كل عابر"، وقال عن التاجر البصري بأنه كان "أبعد الناس نجعة في الكسب... ومن دخل فرغانة القصوى والسوس الأقصى فلا بد من أن يرى بها بصري..." وقد نقل عن البلاذري والجاحظ. وتتأتى أهمية هذا المصدر أيضا من تاريخه، فالكتاب مؤلف أواخر القرن الثالث الهجري، ويتحدث عن تاريخ البصرة منذ تأسيسها، وقد أفرد فصلا خاصا بها تضمن معلومات مهمة عن موقعها ومساحتها ومعالمها العمرانية وظروفها البيئية، وسكانها، وأنهارها، ثم تحدث عن خيرات البصرة وثراء أهلها ورخص أسعارها.

- أما ابن رسته المتوفى حوالي سنة 922/310م، فقد وردت في كتابه "الأعلاق النفيسة" الذي ألفه سنة 290هـ/903م معلومات مهمة عن طرق التجارة، وعن بطائح البصرة ومعلومات أخرى عن خصائص البلدان وسلع التجارة. كما أفرد الاصطخري (المتوفى سنة 322هـ/934م) في كتابه مسالك الممالك جزءا خاصا لوصف البصرة، وتحدث عن أحوالها، وطرق المواصلات المرتبطة بها. وأورد الاصطخري رواية عن أنهار البصرة أثارت استغراب الباحثين، فقد ذكر بأن عددها كان يزيد على المائة والعشرين ألف نهر، ولم يكن هو نفسه قد صدق ذلك حينما سمعه، حتى زار البصرة وشاهد ذلك بنفسه⁽¹⁾. وقد نقل ابن حوقل (ت سنة 367هـ/977م) في كتابه المسمى "المسالك والممالك والمفاوز والممالك أو صورة الأرض" كل ما ذكره الإصطخري تقريبا، وأضاف معلومات أخرى غنية عن نشاط الحركة التجارية في ميناء البصرة بين شحن وتفريغ، وتحدث عن صلات البصرة التجارية مع الأقطار الأخرى وخاصة مع بلدان المغرب الإسلامي والأندلس، وأشار إلى الجالية العراقية من أهل البصرة وبغداد والكوفة المقيمة في مدينة سجماسة والتي كان معظم أفرادها يعملون في التجارة، ووصف نشاطهم التجاري، وذكر أنواع السلع والمتاجر المتبادلة بين المشرق والمغرب.

(1) وقد حاولنا اثبات صحة هذه الرواية من خلال زيارة ميدانية لعينة من المناطق الزراعية جنوب مدينة البصرة الحالية.

- وحرر مؤلف يدعى "سهراب"، لم يصلنا إسمه الكامل، كتابا بعنوان "صور الأقاليم" أو "عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة" يرجع تاريخه إلى ما بين عامي 289-334هـ/902-945م. ويعد هذا الكتاب أحسن ما كتب عن أنهار البصرة وأنهار العراق خلال تلك الفترة، فقد وصف المؤلف نهري دجلة والفرات وفروعهما والمدن التي يمران بها، ثم قدم وصفا تفصيليا عن منطقة البطائح وأهوارها المهمة ومسالكها الملاحية عبر الطريق النهري بين البصرة وبغداد، ثم وصف دجلة العوراء -شط العرب-. وعند ذكره البصرة ركز سهراب حديثه عن أنهارها الرئيسية الصالحة للملاحة وقسمها إلى مجموعتين: تقع الأولى غرب دجلة العوراء -شط العرب-، وتقع الثانية في شرقه، مع ذكر أسماء أنهار الجانبين، وأغلب هذه الأنهار ما زالت قائمة حتى اليوم بنفس مواقعها السابقة تقريبا، وتحمل نفس الأسماء التي ذكرها سهراب⁽¹⁾، مما يدعم دقة رواياته في هذا الموضوع. وقد افادنا هذا المصدر في تحديد خطوط الملاحة الرئيسية بين البصرة وبين مدن العراق الأخرى.

- وقد أفدنا من مؤلفات أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي المتوفي سنة 345/956م، "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، و"النتبيه والإشراف" و"أخبار الزمان" من ناحيتين: التاريخية والجغرافية، ومع ما في هذه المؤلفات من تكرار، فإن شهرة المسعودي اقترنت باسم كتابه الأول "مروج الذهب" الذي كتبه حوالي سنة 335هـ/947م، والذي غلب عليه الطابع التاريخي، فقد خص القسم الثاني منه بتاريخ الإسلام من أواخر عهد الراشدين إلى أوائل خلافة المطيع لله العباسي وصور لنا مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية خلال العصر العباسي. وتناول في بعض فصول القسم الأول أخبارا عن الطرق والمسالك والبحرية، وعن البحار وأهوالها، ويفخر المسعودي بما يديه من اهتمام بالبحر والملاحين ولغتهم، وبتجربته الذاتية في هذا الميدان، فضلا عن اطلاعه الواسع على مصادر متقدمة بقيت أو

(1) تم التثبت من ذلك ميدانيا، انظر أيضا الدكتور محمد طارق الكاتب: شط العرب وشط البصرة (البصرة 1971)

وفيه دراسة قيمة عن تلك الأنهار.